أحمد محمدي

ديابلوس

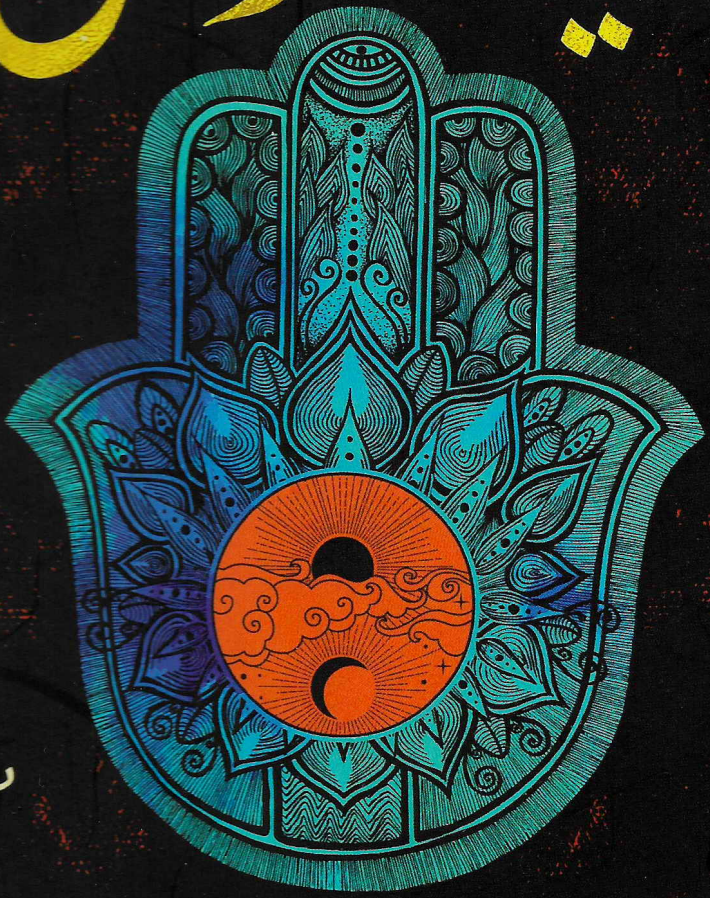

رواية

سبارك للنشر والتوزيع

ديابلوس

رواية

ديابلوس
رواية

بقلم
أحمد محمدي

إن جميع ما تقدمه (سبارك) هو مصنفات عربية مائة في المائة لا تشوبه شبه الترجمة أو الاقتباس أو النقل من أي قصص أوربية أو أمريكية.

إشراف
د. سند راشد

تصميم الغلاف والإخراج الفني
أحمد عاطف مجاهد

مراجعة لغوية
ميشيل حنا

سبارك للنشر والتوزيع

«نيو ويف» هي سلسلة إصدارات تقدمها بيليف بالتعاون مع سبارك لدعم إصدارات الشباب وتقديم جيل جديد من الكتاب.

جميع الحقوق محفوظة للناشر سواء النشر الورقي أو الإلكتروني وكل اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع دون اخذ إذن خطي من الناشر يعرض للمساءلة القانونية.

spark-books.com

أحمد محمدي

ديابلوس

رواية

سبارك للنشر والتوزيع

اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ

يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ

الانتظار

لم تكن "ليبني" تعرف لماذا يحملها أبوها وهو يركض بهذه القوة، غير أنها لم تنسَ حين أيقظها من عشها الدافئ وقال لها بحنانه الجارف وعينيه اللامعتين: ليبني.. سنمضي إلى عالم الحُسن".

الأطفال هكذا لديهم القدرة على النوم أمام اضطرابات الوسن وقلق الكون..

لا شيء كان يستطيع أن يلفت ذهنها لغير هذا الأب الذي طوقها بحنانه حتى اتهم بالهوس ونزلات الجنون، فأي سعادة تلك للكائنات إلا بزخة من مطر الحب التي كانت بصدر أبيها..

صاح أحدهم: "ديابلوس.. إلى أين المفر يا عدو الله"!

أدركت ليبني بأن ذلك الصوت المنشاري لم يكن ليمزح وهو يخرج من صخب الفوضى التي تضرب طبولها، بمعارضة أبيها، بصوت قدمه وبعزفه المنفرد!

ولكن كيف يقول "عدو الله" أ وليس أبوها أكثر من عاش لله وبالله وفي الله؟

- 2 -

فتحت ليبني عيناها كوردة الياسمين في الفجر الندي، لترى وجه أبيها القديس وتشم من أنفاسه عطر الصوامع ولحظات العناق.

انتبه ديابلوس أيضا من غفوته ورأى ابنته النائمة في أحضانه وقد انعكس وجهه في عينيها فقال: أتدرين يا ابنتي أن أباكِ يشعر بأنه أجمل ما خلق الله حين تصبح عيناكِ مرآته؟

فهالة النور التي ترقص على ملامحكِ تشبه صمتكِ، فإن كان الكلام هو المعنى، فالصمت هو كلام الكلام وأنتِ نور النور يا حبيبتي.

قالت ليبني بصفائها: وما هو الحب يا ابتي؟

قال ديابلوس وعيناه قد ازدادتا رقةً: الحب هو أن تري المحبوب كل شيء أن تريه كل هذا الوجود.

وما الوجود إلا وجودكِ أنت فيصبح ذلك المحبوب مرآةً تعكسكِ فتورق سماوات الحسن عليكِ.

فها أنت تصبحين هو وها هو يصبحكِ أنتِ فتتحولين لقبلة لكل العشاق وضريح لكل مكروب.

الحب يا ابنتي هو أن تمارسي إيجاد ذاتكِ فلا يكون المستحيل إلا فصل حبيبكِ عنكِ فهل ينفصل المرء عن نفسه؟

يحكى يا ابنتي أن أحد العشاق طرق باب حبيبته، فنادت الحبيبة من داخل المنزل:

- من الطارق؟

فقال العاشق: ألم تعرفيني؟ أنا عاشقك الحزين المملوءة عينيه بالدموع، فافتحي لي الباب.

ولكن حبيبته صاحبة الدار قالت: اذهب وابتعد، فليس الآن وقت زيارة.

رجع العاشق حزينا آسفا، وتجرع آلام الفراق أياما عديدة حتى ذبل مثل شمعة محترقة. وبعد أيام عديدة رجع وطرق الباب مرة أخرى بكل أدب:

قالت الحبيبة: من الطارق؟

فقال: لا يوجد غيركِ هنا!

عندئذٍ فتحت الحبيبة الباب وقالت:

- لا يمكن لخيطين الدخول في سم الخياط، لأن سم الخياط واحد. كذلك لا يتحمل هذا الباب وجود اثنين. ما دمت قد أصبحتَ أنا. فمرحبا بك.

فكرت ليبني لبرهة وقالت: والدين يا أبي؟

قال دیابلوس: هو موطن الحب وما الدين إلا الحب ولا شرط في الحب إلا الكراهية وهكذا نطير لسماوات الإيمان.

ليبني: الكراهية يا أبي؟

دیابلوس: نعم يا ابنتي فحين تحبين شيئا فأنكِ تكرهين كل ما يسيء له وفي كراهة الظالمين قمة العطف على الأبرياء.

يا ابنتي ذكرت الحب فجاء الدين ليكون المعراج للحبيب الأول جل وعلى، فمن أحبه دون أن يحب نفسه يكون كالحمامة المتسخة التي تطير نحو الغيوم لتخفي عيوبها، وهيهات ثم هيهات أن يصدق من يحب الله لأجل سد النقص فيه، ما حب الله إلا صراط الأقوياء، فمن يحب نفسه فأحب الله، استطاع أن يرسم قوس القزح.. بل يعيد صياغة الشمس وزرقة السماء.

إن قمة الحب هو الرضى عن مشيئة الحبيب الأول ولا يكون المحب محبا، حتى يدرك بأن الخوف هو نقيض الحب.

صمتت ليبني لبرهة وقالت بتردد: وأمي؟

أشاح ديابلوس بناظريه نحو بقعة ضوء اخترقت فراغات الغار فقال:

الكائن الأصيل هو مشروع استقلال.. هو ذلك الذي يمارس فضيلته بتحقيق كينونته حين يرتطم بركام البنيات المتخلفة ويهوى صريعا لتشعل روحه الثورة ويشعل قناديل الحرية وبركانها.

ليبني: وهل تنجح الثورة ويخدش تلك البنيات المتخلفة؟

ديابلوس: ربما يا ابنتي.. ولكن من المؤكد أنهم لن يستطيعوا صدع الحرية.. ويسجنوا ماهية الكائن الحي في اللامعقول. هيهات أن يُقمع الحق يا ابنتي. من صارع الحق صُرع ومن توكل على الله نجا.

اسمعي ترانيم النجوم:

دواؤك فيك وما تشعرُ.. وداؤك فيك فلا تبصرُ

أتزعم أنك جرمٌ صغير.. وفيك انطوى العالم الأكبرُ

وأنت الكتاب المبين الذي.. بأحرفه يظهر المضمرُ

أدركت ليبني بأن الاجابة كانت تضمر نفسها في كلام أبيها.

وصل إليهم الغروب فقال ديابلوس: لألقي بنفسي على آثار أقدام حبيبي وأقبلها فبذلك تسمو صلاتي.

فرغ ديابلوس من المناجاة، وتذكر بهلول كان يقول لديابلوس: حب الذات يدفع للكثير من الخيرات ولكنه حب ملغوم!

فاستلقى ديابلوس مصلوبا على ذكرياته.

.....

الذكريات

﴿المدينة﴾

كان ديابلوس جالسا على الصخرة التي اعتاد أن ينظر منها للمدينة من الأعلى فباغته صديقه "ريبز" قائلا: بماذا تفكر يا صديقي الفيلسوف؟

قال ديابلوس: أحاول أن أنصت لهذا الوجود لعلي أجد اجابة عن تعاسة هذه المدينة التي احتجبت عن الله فحجب الله بهاءه عنها.

هل يا تُرى العذاب أولى بهم أم العذاب؟

قال ريبز: أحب فيك يا صديقي عمق ارتباطك بالله ولكن قل لي كيف بدأت هذه العلاقة؟

قال ديابلوس: بدأت حين شبكت أصابعي بكل هذه الألوان التي تحيط المدينة فرأيتها قد صارت رماديةً وتتسرب بين أصابعي وقفزت فطرتي لتسألني: لماذا أنت موجود؟

فصار الرماد ينزف دما.. كانت اللحظة الأولى التي ألتقي بها بنزيف الرماد وأعرف الموت.. فرجعت لتاريخ هذه المدينة لأجد المعنى من كل هذا، فسمعت همس الإيمان والمستقبل.

ريبز: وبم كانا يهمسان؟

قال ديابلوس: بأن ننفصل بمدينتنا عن هذه الحكومة القذرة!

فزع صديقه وقال مرتبكا: ديابلوس اخفض صوتك!!

قال ديابلوس: لن أخفضه قبل أن يخفضوا سياطهم

- ولكن أيادي أهالي المدينة سترتفع لإسكاتك.

- تبت أياديهم..

ظهر " بهلول " وهو درويش المدينة يحمل فانوسا وهو يضحك بمكر.

فقال الصديق لبهلول وكأنه ارتاح لمجيئه: فانوس في وضح النهار؟

قال بهلول ببطء: فانوس في وضح النهار أم الرضوخ في قمة الظلم؟ يا بني! إذا كان أبصار أهالي المدينة مفتوحة فبصيرتهم عمياء.

قال الصديق: وما الذي أعمى بصيرتهم يا بهلول؟

وضع الفانوس على الأرض ببطء واعتدل يفكر قليلا فأعطى ظهره لهما وأنزل سرواله وصار يتبول وبعدما انتهى: النفوس التي تستند على الخوف وحب النفس!

اقشعر الصديق بينما كان بهلول يهم بالانصراف فقال لديابلوس: ما رأيك بهذه القذارة؟

فقال ديابلوس: يا له من رجلٍ حكيم جعلك تتقزز مما فعله ولم تتقزز لتبول الحكومة عليك، وشخص حال مدينتنا بالخوف بسبب حب الدنيا بطعامها ولذاتها..

فصمتا بينما كان بهلول يسير إلى أقصى المدينة وبيده الفانوس.

***

﴿الطفولة﴾

ديابلوس يا حافي القدمين!

لو كان ربك عادلا فلماذا نعود إلى أمهاتنا بينما أنت تجلس في أحضان الأرصفة..

يضحك الأطفال بينما يبلل ديابلوس الرمال بعبراته..

***

﴿التعارف﴾

هل كنا نعيش قبل هذا العالم؟ أني أعرفكِ جيدا مع دهشتي بأني لا أعرف اسمكِ!

***

﴿الحب﴾

قالت بصوتها الرقيق: أجمل ما فيك يا ديابلوس هي الغرابة المستمرة في عينيك..

عينيك اللتان تلملمان الأضداد.. لأسبحن ربك الذي نسق الكون بأضداده وجعل عينيك كمحور للكون بين البصير والضرير.. فبأبي وأمي وأخي وأختي.. أنتَ..

***

﴿جمال﴾

أحبكِ حين أرى عيني في عينيكِ وحدةٍ واحدة.. تناسقٌ يحتضن الانسجام.

***

﴿شوق ولقاء﴾

عطشٌ وارتواء.

***

﴿ زواج ﴾

كأنه تأليهٌ لنفسي حيث أني ملكت العالم وبريشتي سأمسح الحزن من معجم القضاء والقدر ما دمت معك!

***

﴿ الفراشة الخضراء ﴾

ليبني وهي تداعب أبيها: كم أن الله حنون يا أبتي فهو يسمعني أحاديث البستانين التي تشع بحمده فتشرق الشمس بتسبيحه.

كم هو حنون.

لقد تعثرت بينما كنت أركض خلف فراشة خضراء، فجاء الغول ليلتهمني وناجيت الله، فولى هاربا ثم قلت لربي أريد هذه الفراشة الخضراء فأني أحببت لون الفجر في ذاته ورائحة المطر في ألوانه فسمعت البستانين تناجي الله حتى جاءتني الفراشة تترنم وصارت صديقتي.

***

﴿خطاب بهلول﴾

وقف بهلول بين الناس إبان الأحداث المستعرة في المدينة فقال:

يا أبنائي..

عليكم أن تقفوا مع الحق.. أن تقفوا مع الله.. أن تكونوا للظالم خصما وللمظلوم عونا.. وأن ترفضوا خطاب هؤلاء المزيفين المدلسين.

وأعني صراحةً هؤلاء "الوجهاء".. الوجهاء! الشيء الوحيد المضحك في هذه المدينة المنكوبة.

نعم الوجهاء! تلك القطط التي تعوي للجرذ الملعون حتى يطعمها.

قد ولى زمن التلميح وجاء زمن التصريح وجاءت لحظة تسمية الأشياء بمسمياتها.

من يقول لكم بأن التلميح هو الأفضل فهو مخادعٌ أو غبي، فلا خير بشمعة على وشك الانطفاء فلا تستطيع إنارة دروب الأخرين، فيتعثرون بشباك التأويل.

إن التصريح طعنة في القلب، فإياكم والاستهانة بالكلمة، فهي بيت الفكرة والفكرة هي أم الفعل.

ستقولون لي بأن كل الكلمات المضيئة بإيقاع الحقيقة، لم تحرك ساكنا بين الحشود!

نعم.. الحشود لا تستوعب الحق إلا إذا كان مغموسا بالسياط والبنادق!

يا أبنائي..

بأي حق تهدم الصوامع، ونقتل بالمدافع! ألأننا عشقنا الله ووقفنا مع المظلوم؟

يقولون لي اصمت ولا تثر الفتن.. لبئس الزمن حين يُظلم بهلول وألف ألف ممن هو أفضل من بهلول طوال هذه الأعوام المريرة وحين يصرخ المظلوم يصفع لأنه الجاني!.. أن الفتنة بدأت منهم وإليهم تعود.

يا أبنائي:

أنهم يرمونا بكيسٍ من القنابل، فأن هابوا سخطنا رمونا بكيسٍ من الوعود المزيفة. ولم يتركونا حتى أن نخرج من هذه المدينة.

أيها القوم فليذهبوا مع أصنامهم إلى الجحيم، وليكن نداؤنا لن نركع إلا لله.

﴿ الحرب الأهلية ﴾

لم تكن أصوات القصف ولا جثث أصحابنا الممزقة ولا بيوتنا التي هدمت هي الرعب، بل أن ترى جارك وصديقك وأخاك وابنك هو من يقوم بكل ذلك بك!

- 1 -

ركعت عند أرجل ديابلوس وكانت عينها يسيل منها الدم من فرط احمرارها من البكاء.

قالت ديابلوس.. انتبه على ليبني فهي ثمرة أحلامنا.. أني راحلة مع قومي.

لم تكن ملامح ديابلوس تعبر عن أي شيء فقال: وزوجكِ الذي أحبك أكثر من الله!

قالت: وضعت له ابنتي والدعاء الصالح.. أرجوك يا ديابلوس كن واقعيا..

ضحك ديابلوس فقاطعته وقالت: سأعود إليك حين تنتهي هذه الحرب الأهلية..

قهقه بقوة وقال لها: ما جعل اللّه لكائن من قلبين في جوفه. سأسير في هذه الصحراء ولن يسلم أي حجرة فيها من سخريتي..

- 2 -

يهرع ديابلوس لحجرة بهلول ويسأل الحضور عن حقيقة ما يجري، فيجيبه الطبيب: أنه السُم!

بينما صار بهلول متلألئا من التعرق والابتسامة لم تفارقه حين فارقت الروح جسده..

- 3 -

يصرخ بهلول على الأطفال فيفروا وديابلوس تنهمر منه العبرات.

يقترب بهلول ويسقيه ماءً ويمسح على عينيه فينكشف له المحجوب، فيرى أم الطفل الأول وهي تضرب من زوجها.

ويرى أم الطفل الثاني وهي تطفو على البركان.. والثالثة على أنها خنزيرة تبيع العطور..

قال بهلول: ربما تعاني من ألم الفراق لكنهم يعانون من ألم اللقاء، فارض بقدر الله حتى تعانقه واعلم أن الجنة نبضةٌ من قلبه.

افرش جناحيك يا ديابلوس إلى عالم الملكوت واسخر من هؤلاء الفاسقين!

- 4 -

يُفتح الباب بقوةٍ وإذا به "ريبز": كيف تعزلني عن منصبي أيها الصديق الودود! لعله قمة الهرم لأنه حاد جدا ويشطر من يسقط عليه أليس كذلك يا صديقي المخلص؟

هللوا يا رفاق النضال والصمود والسعي لبلوغ المجد إن ديابلوس عزلني!

ديابلوس: يبدو أن أحماض الغضب قد أثملتك، تذكر أننا هنا من أجل الله ولـ..

ريبز مقاطعا: لله؟! الله؟ أنت تتكلم عن الله؟ جميلٌ ومبرقٌ وزاه ولكن قل لي يا حضرة القائد كيف أوفق بين ألوهيتك وبين زوجتك الهاربة التي لم تستطع السيطرة عليها يا حضرة القائد!

– يا ريبز لا تتبع هواك فيضل سعيك، الكل يعلم هنا بأنك قد تغيرت كثيرا بعد خلافاتنا الأخيرة، فلا تخلط المواضيع كمن يخلط بين الدم والماء!

صمت.. نظرات.

يرمي ريبز وسامه على الأرض ليتدحرج على كل أيام الكفاح والحق على مائدة الانشقاق..

الخروج

استيقظ ديابلوس مفزوعا من نومه وقال لابنته: رأيت في منامي أن لي هدهدا بألوان الطيف، وكنت شغوفا به إلى حد الهوس.

عضني بغتةً حتى قطع إصبعي وشع من بصره ما يشبه البركان وتحول إلى برصٍ ضخم له جناحان وأنياب.

ففجعت له ولأمري وعجبت لكل الأسى الذي اخترقني حتى وقعت مغشيا على وجهي ارتعش من صراخه المرعب فجاءت صاعقة من السماء قصمته، فانفجر إلى ذرات من الثلج المضيء وشعرت بالسكينة بينما كنت اتفكك ببطء!

قامت ليبني وقبلت ما بين عيني أبيها وقالت له لا عليك يا أبي أنه محض أضغاث أحلام.

.....

.....

.....

استمرت الكوابيس طيلة الأعوام حتى صار النوم في ذاكرة ديابلوس لا يعني إلا أنه لسعة جديدة من كابوس بشع.

ولكنه كان سعيدا فهو يحب اليقظة ليستمر بالإنشاد لجمال الله وحنانه ولم يكن ينام إلا حين يغشى عليه.

وفي أحد الأيام أدرك ديابلوس بأن النوم قد غلبه وأنه استيقظ إثر تحرك صخرة الكهف من مكانها وإذا به يرى ليبني وهي تحمل حاجياتها.. فقال: ماذا هناك يا ابنتي؟

قالت بهدوء سأعود إلى المدينة.. لأعيش رغدي وأروي جسدي الظمآن كباقي أهلنا.

قال ديابلوس وقد تصلب في مكانه: لعل ما أراه هو أبشع كابوس مرّ بي!

قالت: لا يا أبي إنه الواقع.

أراد ديابلوس الوقوف ولكنه سقط من هول ما سمعه فزحف إليها وهو يقول: يا ليبني انتظري إن وعد الله حق لقد كساكِ وأطعمك حتى وأنتِ بهذه البقعة المنعزلة ولطالما كنت تعرفين هذه الحقيقة وكنت أقول لكِ أنى لكِ هذا وتقولين: هذا من عند ربي.

قالت: دع عنك أساطير الأولين ودعني أحيى كباقي الكائنات فلقد مللت الاختباء كالصراصير منتظرين الذهاب لعالم الملكوت فأين هو

ذلك العالم المشبع بالحُسن؟ وأين هو ربك الذي حفرت لأجله جبهتك وكاحليك وحياتي؟

شعر ديابلوس بأن قلبه صار أثقل من الكون وصار يزحف ببطء أكبر: ليبني لقد رأيت معاجز اللّٰه فيكِ فالويل للجاحدين.

قالت: عن أي معاجزٍ تتكلم؟ أتقصد هذه الفراشة الخضراء التي أزعجتني بتهجداتها لربك الذي حبسنا هنا؟

في مدينتنا أستطيع الحصول على العشرات منها.

خارت قوى ديابلوس بينما صار الوجود من حوله مشوشا.

فقالت: ستجدني متى شئت في المدينة لا أريد أن أتلف باقي حياتي في أوهامك.

قال ديابلوس: خسف اللّٰه قادم..

قالت: حتى وإن جاء، فالمدينة محاطة بأقوى الدروع التي اكتشفها العلم. هكذا أخبرني برص المدينة.

خرجت ليبني وصارت تتوارى شيئا فشيئا بينما الفجيعة كانت قد ابتلعت ديابلوس شيئا فشيئا! حتى وصل بزحفه لخارج الغار ونادى بكل حزنه وغضبه وأمنياته وتعبه: تقبل هذا القربان يا رب!

تزلزل العالم وبدأت السماوات تنكسر والأرض تتموج وهي ترن بصدى "يا رب" فسقطت الشمس وخشع الضوء.

وأبرق الفراغ ليخرج من وميضه موكب من الملائكة فحملوا ديابلوس وهو ينظر للعالم الغريب كيف ينصهر، وكيف الذرة تنشطر والانشطار يتفتت والفراغ يفرغ من نفسه..

كان منظرا كفيلا بأن ينسى الفجيعة ويعلم أن الخسف قد جاء وقد بدأ العروج لعالم الملكوت.

عالم الملكوت

– صباح الخير.. ألا تعرف هذه اللغات يا سيدي؟ أنها لأقوام من بني جنسك! يبدو أن جهادك ضد أعداء الله.. أنساك ما بالوجود!

سيدي..

إن كل شيءٍ مختلفٌ هنا، فلا وجود للشيئية.. هنا مقر التلاشي وانفكاك الزمان عن المكان، فلا إدراك ولا لغة قديمة..

قد شاء الرب أن يتدفق وجودك هنا، كما كان وجودك في العالم السفلي.. ولست أعي إلا أن يفعل كل ما يفعله للرحمة.. ولا أعلم أكثر من ذلك.. صدقني لو كان بني جنسك يرصدون رحمات الله. لم يدمروا وكان لهم الخزي والعذاب.. لا أعرف أكثر من هذه الحقيقة.. فنحن الملائكة مندثرون في تسبيحه.. لا تشغل حناجرنا عن غير ذلك إلا بصعق الدهشة فتنطلق منا بحة السؤال! إننا نصعق من رحمته ونسأل برحمته يا رحمن يا رحمن.

سيدي..

أدرك انسجامك مع العزلة.. سأتركك الآن.. غدا سنحتفل بقدومك منتصرا إلهيا، ونخشع لإعلان النبأ المهيب!

مع كل الغرابة التي تحدث حوله لم يشعر ديابلوس بأي مشاعر غريبة إلا حين سمع هذه الجملة..

ديابلوس: النبأ المهيب؟ وما هو هذا النبأ؟

"تنصيب الله لخليفته في خلقه الجديد.. غدا سيدي.. وعذرا لقولي غدا ونحن خارج الزمن!".

اختفى المتحدث. ولمح ديابلوس أضواء متداخلة بين الحمرة والخضرة فما أن نوى الذهاب إليها حتى أتت إليه! تماما كما قال الملاك: كل شيءٍ مختلف هنا.

تأمل ما أمامه فوجد طريقا على يمينه يشع بالخضرة إلى غاية سلب البصر. وعلى يساره طريقا قرمزيا يلهب البصر.

ما أن أراد ديابلوس أن يخطو الخطوة الأولى نحو اليمين حتى انبثقت أمامه لوحة نورانية كتب عليها: من هنا اتجاه الجنة، لا يعيش فيها، إلا من عاش بقلبه في دار البلاء.

التفت ديابلوس للوراء فظهر له ملاكٌ عملاق يمسك لوحةً مظلمةً كتب عليها: من هنا اتجاه الجحيم، لا يعيش فيها، إلا من أحدث مثلها في الدنيا.

نظر ديابلوس للملاك العملاق بشيء من الحيرة فقال: وأنت أيها العملاق ما اسمك؟

- أنا خازن ملك النار.

- آها.. إذن ذلك الكائن الورقي أخوك. إنك لا تختلف عنه كثيرا فهو من ورق وأنت من ورق مختلف!

هم ديابلوس بالنظر لزاوية بعيدة، حين رأى أشكالا كالنجوم، تتفرقع كفقاقيع الصابون وما أن خطا خطوته الأولى حتى وصل إلى هناك، وظهرت له لوحة كُتب عليها: مصنع الإنسان.

نظر إلى يمينه وإذا به بكائن عملاق كتب على جبينه (آدم) نظر إليه ديابلوس باستغراب وهو يهم بفحصه ولمسه، وبعد الدوران حوله قرر ديابلوس الصعود نحو كلمة آدم، فيسقط وهو في بدايات صعود. وبعد أن نجح في المرة السابعة بتجاوز أعلى ما وصل إليه في مرات السابقة، وقع على ظهره وشعر بانزعاج شديد وقال بغضب: "ما هذه المادة اللزجة التي خُلقْتَ منها! لو كان الله أمرني أن أعبده من خلالك لفكرت ألف مرة بالكفر!".

وبدأ ينهال على ذلك المجسد باللكم والركل حتى تعب ونظر باتجاه قصره وإذا به في سريره، وقد غاص بنومٍ عميق.

- 2 -

استيقظ ديابلوس من نومه فظهر له الملاك الذي رآه لأول مرة فقال الملاك:

- صباح الخير سيدي الجليل.. أعلم أنك لم تهنأ بالنوم.. لأنك إممم لم تهنأ بالتعب.. أنها معادلةٌ دنيوية حيث إممم.. لا تعُرف الأشياء إلا بأضدادها.. هل تشعر بانعدام الجاذبية.. سيدي إممم.. منذ أن جئتنا أنت لم تقف على قدميك، فهنا التلاشي والتحليق وما تراه هو انعكاس الرموز في مشاعرك. حاول أن تستوعب ما تبصره كالحلم، بل إممم كمنام المنام.

سيدي..

لا تدري ما حجم الشوق لملاقاتك.. ولا تدري حجم الرهبة ليوم النبأ العظيم.. كنا يا سيدي نبلل أجسادنا بالدموع والتضرع لينصرك اللّه.. أرجوك رفقا بأفئدتنا وافتح ذلك الباب..

اقترب ديابلوس من الباب وشعر بمشاعر غريبة. تَقَدمَ وقبل أن يفتح الباب تسائل لماذا لم يتقدم الباب إليه؟.. شعر برعشة بيده.. وفُتحَ البابُ، وإذا به بجموع ملائكية غفيرة، بكثرة حبات الرمل تحيطه من كل جانب فعم النور بصره والعطر رئته وأزفر زفرة الانعتاق..

نادى أحدهم: ها هو ديابلوس المتمرد على الطاغوت للّه.. ها هو من شهد اللّه في نهوضه ورقوده.. ها هو هنا لحبه للّه..

وبدأت الملائكة تنشد بأناشيد عذبه خطفت ديابلوس من انخطافه..

أغلق عينيه، أراد أن يجمع حواسه التي شُحنت بالانتشاء.. وسقط ساجدا كأنه نغمة روحانية خرجت من صدر عابدٍ عرف بأن السعادة كلها في لحظة الحمد.. سجد ديابلوس وهو يقول: الحمد للّه الذي انتخبني لكي أكون خليفته.. الحمد للّه الذي انتخبني لكي أكون خليفته.. الحمد للّه!

ما أن رفع ديابلوس رأسه حتى وجد نفسه في حفرةٍ مع كل الملائكة التي أنشدت له ولكن هذه المرة وهي تعطيه ظهرها وقد علا وجهها كل ملامح التوجس والانتظار.

تزلزلت الأرض من تحته ليظهر لهم جبل حلزوني مضيء. استنفرت الملائكة وهي تعيد ترتيب صفوفها كأنها ستصلي وصوت التسبيح يرج المكان.

تجلى في قمة الجبل جسمٌ غريب سرعان ما عرفه ديابلوس. إنه آدم!

جاء صوتٌ للجموع المرتعشة قائلا: سيكون هذا المخلوق هو آلتي لنقل خلفائي، فصاح أحد الملائكة: أي رب! يا عزيز يا قادر يا رحمن أستخلف فيها من يسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك؟

وقال الآخر: لازلت يا رحيم قلوبنا مفجوعة لِما فعله خلقك الماضي.

تزلزلت الأرض مجددا ليظهر جبلٌ أشد ضخامة من الأول تعلوه أشباح مضيئة تزداد نورا بكل لحظة حتى أنير العرش والكرسي والجنان والأرض من تحت أقدام الملائكة وظهرت عوالم بكائنات غريبة أنهكت خيال ديابلوس الذي كان يعتقد بأن قومه هم الخلق الوحيد..

رجع الصوت مجددا: "من هؤلاء"؟

قال أحد الملائكة وكأنه مختنق: "إنهم الذين علمونا التسبيح.. أنهم مصابيح العرش".

-"وما أسماؤهم"؟

قال الآخر وكأنه يستسلم لآلمٍ ما: "سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا".

تعالى صوت مهيب: ستنتقل هذه الأنوار لخلقي الجديد وسيخرج منها من سيخلصها من الدم، عن طريق عبدي آدم فاسجدوا له تشريفا لهذه الأنوار التي لحقت جميع العوالم والكائنات.

سجدت جميع الملائكة بتدفق تام كأنهم موجه ناعمة، بينما ظل ديابلوس واقفا ينظر لآدم.

قال الصوت المهيب: ما الذي منعك من السجود يا ديابلوس؟

أحاط الذعر بالملائكة ما أن سمعوا بأن هناك من رفض مشيئة الله.

تكرر الصوت مرة أخرى: ديابلوس لِمَ لم تسجد؟

قال ديابلوس بصوتٍ هادئ: بعد كل ما فعلته لأجلك وبدلا من أن أكون خليفتك تجعل هامتي تهوي لهذا اللزج!

-"قد علمت أنها مشيئتي.

-لماذا لا تجعلني حملة هذه الأنوار؟

- إنها مشيئتي اسجد يا ديابلوس.

- إن أعفيتني لأعفرن خدي في كل صخرة في العوالم التي رأيتها تحت قدمي.

- اسجد يا ديابلوس.

- لأجعلن أبناءه يسجدون لي، لأغوينهم بما أغويتني.

- وهل أنت قادرٌ على إضلال جميع خلفي؟

صمت ديابلوس للحظات وهو يتأمل آدم والأنوار التي حلت به.

- إلا عبادك المخلصين.

- لك ما تريد يا ديابلوس إنك حرٌ وملعون، وسترجعن لي يوم يبعثون.

انتفضت الملائكة عند سماعها لكلمة ملعون وهربوا من حوله، ظل وحيدا كبقعة دم سوداء على فستان زفاف، ثم ساحت الألوان وتقشرت الأرض من تحته. اجتمعت صور الأنوار وآدم في عينيه مع فرار الملائكة، فصرخ صرخته الثانية وهو يقول "لا" فتحطم كل ما حوله، واحتضنته الدنيا وهي تسمع كلمة "لا" ولكنها قالت: لا إله إلا اللّه.

المعبد / الليل

"أشعر بأني غيمة تمطر رملا، تاريخٌ ولد من الجرح، كل رواته جثثٌ راقصة على ألوان الضباب، يستيقظ ضمير المجرمين حين يرون حبل المشنقة، لكنني تجاوزت الموت لأعيش كفاوست لعنة الضمير الأبدي.. لمن بعت نفسي لأي شهوة عابرة؟ لأي لحظة كاذبة عاهرة؟

ألهذا وضع الإله التوبة لأنه لا يريد للإنسان أن يحيى الجحيم مرتين، ولا يريد لقاتل سقراط أن ينصر قاتل الحسين.

كان يوما قاتما بهواء مخنوق وعمرٍ مسروق، أتسلل نحو الحتف فيأخذني،

لم أكن أعرف لحظتها بأن اللاعودة دربي.

لم أكن أعرف لحظتها بأن القبور مواقدٌ تشتعل بالبردِ.

لم أكن أعرف لحظتها بأن البركان مصيري وفرضي.

أيها اليأس لماذا لا تغرز رمحك في صدري.. الظلام فيلٌ أعمى مجنون، بأنياب من لهب، وحجرتي تضيق على نفسها، أيامي تضيق على نفسها، ساعاتي تضيق على نفسها، وخطوات الفيل تتسع..

- ماذا سأفعل بطلقتي الوحيدة والعالم يضج برؤوس المجرمين لكن رأسي أولى بها.. إلى أين أمد شراعي والرياح تضحك ضحكتها

الحمراء كلما لمحت موانئ الغرق تطفو على روحي".

هكذا تكلم خادم سقراط وصار بيدين مرتعشتين يحاول إشعال الثقاب.

صار ديابلوس يتحسس عينيه كي يتبين هل سقطت منه دمعة أم لا، فمع كل ما يمتلك من قسوة سقيت بدماء الأبرياء إلا أنه لا زال يتزلزل ما أن يسمع اسم الإله أو اسم ابنته أو اسم الندم..

- سيدي ما تلك الأسماء التي نطق بها هذا الرجل؟

هكذا سأل ريبز محاولا الإيحاء لديابلوس أنه لم ينتبه لتشظيه.

-إنه الألم له القدرة على اختراق الزمن ورؤية المستقبل..

والألم أيضا يثير الغضب! هكذا قال ريبز لنفسه وهو يفكر كيف يبعد ديابلوس عن الألم فهو ليس بأفضل حظا من كل الشياطين الصغار الذين سحقوا بلحظة غضب، فما الذي يميزه عنهم؟ أليس مثلهم في التشرد والبحث عن الجاه طمعا لاكتساب مهارات ديابلوس في الإغواء؟ هل لديه أي ميزة عنهم؟ غير أنه أسماني بـ"ريبز"؟ اسم صديقه الذي لا نعرف عنه أي شيء؟

- ليته أخبرنا بمكان المعبد بدلا من هذا الهذيان..

التفت ديابلوس نحو ريبز وطرحه أرضا ووضع رجله على رقبته.

- سيدي أرجوك سيدي انفاسي!

ديابلوس وهو يصرخ: هل تشعر بالندم الآن يا ريبز؟

هل يصح تسمية صراخك الآن بالهذيان؟

- سيدي..

يقوم "خادم سقراط" بإحراق كتب سقراط ويلوذ بالفرار، يزيل ديابلوس رجله من رقبة ريبز.

كان ديابلوس يأنس بالنار كثيرا، يراها كعروس من فضة في جيدها تهلل النجوم، لكن تلك الفرحة لم تبق على حالها بعدما رأى النار تتحول بردا وسلاما على إبراهيم.

- نعم أنها عروسٍ حين تحرق المكتبات وخائنة حين تخذلني.

التفت ديابلوس نحو ريبز الذي صار يحاول الوقوف فجره من جلاليبه نحو النار..

- 2 -

لماذا لا يسكن ديابلوس في القصور كباقي الملوك؟ لأنه يرى نفسه دوما بأنه صاحب ثأر شخصي، يعيش معركةً مفتوحة، بشراهة الفيضان، بشغفٍ يدفعه للتفكير، كيف يمكن بأن يقنع الانسان بضرب هذه الكواكب ببعضها، طموحاتٍ ضخمة تجر له الأفراح والحسرات! تعلقه الشديد بالأشياء تجعل نصف مسكنه عبارة عن مقتنيات، فهنا رماد نار إبراهيم، وهنا ريشة سقطت لطائر كان يفر من الطوفان إلى سفينة نوح، وهنا الدلو من البئر الذي سقط فيه يوسف، وهنا البوق الذي من خلاله خدع السامري بني إسرائيل وأخرج صوت الخوار من العجل.

"أنا في غرفة ديابلوس" هكذا تمتم ريبز، وامتزجت مشاعر الهلع لديه بالحيرة.. إعدامات ديابلوس تكون في غرفة الإعدامات أمام كل الشياطين.. لماذا أنا هنا؟

ديابلوس:

انظر يا ريبز إلى منتصف الغرفة ألم تلاحظ هذه البركة؟ ألا تود النظر إليها؟

أخذت الرعشة تسري إلى أعضاء ريبز وهو يحاول الذهاب إلى تلك البركة

-هل يريد ديابلوس التفنن في قتلي؟

سار ريبز مثقلا نحو البركة كأنه صخرة تسقط من أعلى التل وهي ترتطم بأنواع المناشير.. "أنا أسير لهاويتي".

وصل ريبز عند حافة البركة وتسمر في مكانه.

- ألا تريد النظر إلى داخل هذه البركة يا ريبز؟

صارت دقات قلب ريبز تتصاعد وحاول ببطء النظر إلى داخلها لكنه سُحِبَ إلى داخلها كأن اعصارا ابتلعه، حاول ريبز النظر لكنه لا يرى إلا الاحمرار من حوله، هو بمادة لزجة حمراء تسحبه إلى الأسفل، وهو يجاهد في إنقاذ نفسه كعصفور عالق بأسلاك شائكة.

بعد لحظات مد ديابلوس يده إلى ريبز وسحبه نحو الحافة.

ديابلوس: أنت مغطى بالدم يا ريبز! رؤية الدم أشد ما يسكت غضبي.

هذه البركة يا ريبز كل قطرات دم جمعتها من أول دم هابيل إلى هذه اللحظة التي أرى فيها أنفاسك وندمك.

يقوم ديابلوس بإخراج ريبز وقذفه على الأرض.

- هل أنت نادم يا ربيز؟

- كثيرا يا سيدي كثيرا.

- صف لي حزنك.

- أشعر.. أشعر.. أشعر..

- هه! أنت شيطان أبله يا ريبز كل ما تملكه هو تقمص صوت البشر لإغوائهم والآن لا تستطيع الكلام.. قل لي يا ربيز عن حجم ندمك.

يقوم ديابلوس بشرب الدم من البركة ثم ينظر في وجه ريبز ويبصقها بوجهه بصراخ..

ريبز إلا تكفي ما لديك من مشاعر الندم حتى تعبر عنها هل تحتاج إلى مزيد من الندم.. هل تحتاج أن تطرد من فردوسك أو تفقد ابنتك حتى تشعر بالندم.. هل تريد أن تفقد حياتك يا ريبز؟

-ريبز يصرخ بقوة.

-الدموع نعم الدموع مراسم أولئك الذين قذفتهم بالجحيم، أنشودة أصحاب هذه الدماء والنصل يدنو من رقابهم، لكن أجمل

الدموع شعرتها بعيني لوط.. هل تذكر لوط يا ريبز؟

ينظر ديابلوس باتجاه البركة: بعدما عرفت هذا السر، سأخبرك بسرٍ أعظم منه.

توقف ريبز عن البكاء وهو يترقب بحذر.

-هل تعلم يا ريبز أن جميع ما فعلته لا يسعدني مثل سعادتي بما حدث للوط.. هل تذكر لوط؟

كانت الحيلة اقتصادية وبسيطة، شعروا بثقل الضيافة لأن قبيلتهم تقع على طريق سفر فقلت لهم هكذا لن يأتيكم أحد! اغتصبوا ضيوفكم! ما هذا الإمتاع؟! إذن افعلوا ذلك بينكم!

هيا أيتها النساء فلتضرب الأثداء بالأثداء.. أقسم بثأري يا ريبز كانت ملامح لوط حينها مدينة تضرب بالمنجنيق رأيت الفصل الأخير من جزعه حين وقفت زوجته معهم، لقد شاهدته وهو يصرخ: هؤلاء بناتي هم أطهر لكم.. هكذا كان لوط يضحي للإله.. فبماذا ستضحي أنت يا ريبز؟

ريبز كأنه تعلق بطوق النجاة.

-سأعثر على المعبد يا سيدي.. لن ينجح سقراط في بناء المعبد.

-لكن قبل ذلك يا ريبز هنالك مهمة علينا القيام بها حتى يزداد الدم في هذه البركة.

-ماهي يا سيدي؟

- 3 -

احتسى بروغوراس كأسه العاشر، وصار ينظر إلى العالم من حوله كشمعة تحتضر، كل شيء يذوب ويتلاشى، إلا مخاوفه تزداد، كأنه يهرب من البراكين إلى بطن الجحيم.

أكل هذا الهلع يا بروتوغاروس من أساطير الأولين؟

أكل هذا الهلع يا بروتوغوراس من منام؟ ما علاج هذه الكوابيس التي تحشر في رئتي الجمر والدبابيس؟

بدأت الكوابيس تراود بروتوغاورس منذ اعتقال سقراط والتجهيز لقتله، كان يرى بمناماته أن فارسا يخرج من قلب القمر كأنه دمعة وما أن يسقط في أرض أثينا حتى يتحول لطوفان يبتلع الأصنام والأيام،

فتفزع أثينا ومن فيها لقبر سقراط وهم يجرون بروغواروس من رقبته بلجام من نار طالبين منه العفو والمغفرة.

ظهر ريبز أمام بروتوغوراس كفتى يافع.

من أنت؟ كيف دخلت؟

– دخلت من الباب! هه أنا ابن أسيادك أيها الزعيم السكير. درست لديك الخطابة والقانون ألا تتذكرني؟

حاول بروغوراس عبثا لملمه سكره وقال: وماذا تريد في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل؟

– من الرائع أن زعيم السفسطائين الذي بيده السلطة الفعلية في أثينا يستطيع الانتباه إلى الوقت حتى وهو يترنح من السكر هه!

– ولماذا تضحك ما دمت تعرف من أكون؟

– لأنك في الواقع يا بروتوغوراس أرخص من كذبة تفوهت بها عاهرة لقوادها، كنت تظن بأنك تمارس لعبة الحكومة الخفية بدهاء لكنك تصطدم كل يوم حتى في منامك بأن هناك من هو أقوى منك وأخفى منك.

لم يستطع بروتوغاروس حسم أمره، هل ما يراه من السكر أو من الواقع، كان مثقلا كأن المجرة تعصر رأسه.

قام ريبز بأخذ زجاجة الخمر وسكبها على نفسه، ما أن شم بروتوغوراس رائحة الخمر طرأت في رأسه فكرة بأن لو كان هذا الولد حقيقيا فعليه ابتزازه وفرض سلطته وفق العادة المنتشرة في ذلك الوقت أي اللواط..

نجحت خطوة ديابلوس دون مجهودٍ يذكر، لقد كان يهيئ المجتمعات بخطوط الفساد ثم يجني الثمار بسهولة، ومنذ آدم إلى هذه اللحظة لم تختلف أساليبه كثيرا، الذنب يجر إلى ذنب، حتى تتهشم إرادة الإنسان، ماذا يبقى من الإنسان حين يفقد إرادته؟

الذنب يثقب الروح، كلما كبر الذنب زاد قدرة ديابلوس على "الحلول" في داخل البشر، إلى حد يجعل ديابلوس يتحكم تماما بالإنسان فيكون هو هو وليس بهو! إنسيٌّ بروح شيطان.

انتهى بروتوغوراس من ذنبه فصرخت روحه صرخة الاحتضار، صرخة ترعب الملائكة وتفرح الشياطين، وانشقت روحه بدوامة مظلمة، وتأهب ريبز للمنظر الذي حدث سابقا مع فرعون، حيث سيقوم ديابلوس بخلع وجه المذنب، وسينسى بروتوغوراس نفسه وربما إلى

الأبد، ها هي شرابينه تحترق بنيران سوداء، وها هو ديابلوس يدخل في روحه كدخول قذيفة في منزل مهجور.

- 4 -

نهض بروتوغوراس من على الأرض وشعر بالانتشاء كأنه فقير قد ربح في مقامرة، وهو يشعر أيضا بصفاء ذهني لم يشعر به منذ أسابيع.

رأى على مكتبه زجاجة الخمر مسكوبة على أوراقه لكنها لم تصب رسالة "غورغياس":

"بروتوغوراس ها أنا أتوسل إليك أن تعيد النظر مجددا بزيادة دعم النسبية، فالنتائج إلى الآن جيدة وملفتة، إنها فرصتنا العظيمة، فكر بالأمر مجددا دعني أطرح عليك أعداد من صدقوا بذلك، لقد زادوا عن لقائنا الأول".

أمام شعور بروتوغوراس بالخطر على انهيار حكومته الخفية، ومواصلة كوابيسه ضرب أجراسها، اقترح كلٍ من "ميليتوس" و"أنيتوس" و"وليكون"[1] مشاريع عدة كي يهيئوا أثينا ليوم إعدام سقراط، فمن

(1) أسماء من أقاموا الدعوة على سقراط.

يضمن ألا تتذكر أثينا سقراط الفقيرالمسن الذي رفض أخذ الأموال للعلم وأخذ الصفعات في الطرقات وها هو بالسجن لا يعلم مصيره ولا حقيقة الاتهامات الموجه اليه، من يضمن ألا تشعر أثينا بأنها استنزلت اللعنة بقتل رجل كان كلامه يشبه كلام الأنبياء، فتقوم بثورة التوبة وبيدها مشاعل لإحراق مدينتها قربة للنسيان وبذلك يظهر "المؤمَّل" وهو يسير بطرقات أثينا يسميها مدينة الرماد!

تتضمن الفكرة التي طرحها "غورغياس" بأن نشيع بين الناس بأن الحقائق ليست ثابتة، بل هي خاضعة لأهواء الإنسان، فالعقل أعمى، قلع عينه المجتمع بعاداته والإنسان بمزاجه وجهله، ودليل ذلك اتساع الخلاف بين البشر حتى في أبسط الأمور! ما أبسطها من حيلة أن يستسلم الانسان لمخاوفه وشكوكه وكسله حتى يضمحل الضمير، فلأي شيء سيثور بعدها، بعد الضمير؟

"عندها سنقتل سقراط ولن يفرق الناس بين الظالم والمظلوم فلا حقيقة يمكن إدراكها إلا ما نقوله نحن".

ضحك بروتوغوراس من الفكرة وعدها سخيفة وتافهة، فهل سيضع الأثيني حبل المشنقة على رقبة القيم الإنسانية؟ هل سيدمر بيديه العدالة ويقول لكل مجرمي العالم أن جميع جرائمكم هي مبررة لأنكم

تنظرون إليها من منظوركم الخاص؟

بروتوغوراس: هل سيؤمن الناس يا "غورغياس" بفكرة تحمل في طياتها كل هذا التناقض والانهيار؟

هل نقول للناس أن الحقائق نسبية؟ ألا يوجد من سيقف في وجوهنا كي يقول لنا إذا كانت كل الحقائق نسبية فهل حقيقتك هذه مطلقة أم نسبية؟

فاذا قلت أنها مطلقة فأنت متناقض..

وإذا قلت أنها نسبية فبطلت القضية حتى تحتج فيها على الناس..

ما أسخف ما تطرحه يا "غورغياس" تريدنا أن نكون أضحوكة أثينا، لأنك رأيت حفنة مجانين قد صدقوك، أتريد أن تبني لنا قصرا من الثلج حتى يذوب عند شروق الشمس؟

هكذا كان رد بروتوغوراس في تلك اللحظة، لكنه الآن يشعر إزاء هذه الفكرة بمشاعر غريبة تشبه شعور المغترب بأنه اقترب من الوطن.

تنفس بروتوغوراس الصعداء وقال لنفسه حان الآن موعد إعدام سقراط.

- 5 -

لماذا تأخر أرسطو؟ هل ألقوا القبض عليه؟ من سيشغل نفسه بطفل!

أخذ القلق يموج بأفلاطون وهو ينظر إلى أثينا من معبد أكروبوليس، صار ينظر للغروب كأن السماء تذوب، تنعصر روحه أشد من ذلك اليوم الذي قيدوا فيه سقراط وقاموا بسحبه..

بكى أفلاطون وجثا على ركبتيه شعر بأن أثينا صارت بؤرة من الجحيم وتنام على أنفاس التنين.

من حرق كتب سقراط؟

هل سيقتلونه؟ لم الروح منقبضة وشمس أثينا ترتل أناشيد المذابح بعين مكسورة؟

كم علينا أن نضيع كي نكتشف الدرب يا سقراط؟

بأي وجه سنقف على قبرك يا سقراط؟

انتبه أفلاطون بأن أرسطو يقف خلفه، بوجه فارغ من الملامح، كأنه معبد مهجور أو نبي رآه قومه يخرجون من الهداية إلى الضلالة.

وبدلا من أن يكف عن البكاء زاد بكاءه، قد فشل أخيرا بالاحتفاظ بأوجاعه التي لطالما حاول إخفاءها أمام هذا الطفل الصغير.

اقترب أرسطو من أفلاطون ومد بيده برسالة ملطخة بالدم..

"لقد تقرر يا أفلاطون أن يذبحوني، حتى تبقى القناديل في أيدي العميان ويكتمل رثاء العالم، هذا هو مصيرك يا بني أن تغني في عالم يهذي ثم تتلقى جميع سهام الأرض، فبمن ستحتمي؟ لا أحد في الأرض اليوم إلا الأغبياء الذين يرون زوال الشمس كل يوم ولا يرون زوالهم، يريدون للأيام أن تنفرط، يريدوننا أن نعطش في مدينة الماء وكأن الإله لا يسقي العطشى والمظلومين..

لقد تذكرت يا أفلاطون لقاءنا الاول لقد كنت كنغمة شاردة من قيثارة الروح، كنت مبللا بالضياع، تشهد على أفول الحضارات وسقوط النجوم، تتجول بين القبور تريد منها معرفة الغاية من وجودك، من أين أتيت وإلى أين ستذهب، لكنك بدلا من سماع صوت القبور سمعت صوتي وجوابي، ظننتني الريح فقلت لك كلا أنا الروح، ما أسهل أن تجد آيات الإله في الروح فيزهر الريحان..

لكن الذكريات تصلبت اليوم وانا أرى اكتمال فصول السوط على أيام جسدي لقد مزقوا شفتي يا أفلاطون لقد ثأروا من صوتي ولساني

لقد قايضني الحارس بارتشاف الرماد مقابل كوب من الماء المر الذي سيختلط بدم فمي.

أرادوا معرفة مكان المعبد لظنهم بأنه المكان الذي يسكن فيه "المؤمل" ولم يصدقوني حين قلت لهم بأن المعبد مدفون تحت جفوني لا يراه إلا من يعرف الفجر.

لقد كانت هذه رسالتي الأخيرة لك يا أفلاطون، ها قد انتهى الدمع والحبر وانكسر القلم وفاضت الروح إلى ربها، وغدا سيجيب النهار عن أسئلة الليل".

وبعد لحظات من تأمل الرسالة قال أفلاطون: لقد علمت أين يقع المعبد.

- 6 -

وصل أفلاطون وهو يحمل شعلة من النار، للمكان المنشود وقام بالحفر حتى وجدا بابا على صورة كف وصار يتأملها.

وتمتم مع نفسه:

الأول العلوم العقلية..

الثاني العلوم الأخلاقية..

الثالث العلوم الطبيعية..

الرابع: العلوم الفنية..

اما الخامس فلم يكن واضحا، أدرك أفلاطون بأن واضع هذا الرمز ما هو إلا سقراط، فهو ابتدأ بالعلوم العقلية لأنها أساس كل العلوم والأحكام التي تبحث عن ضوابط العقلية وقوانينها، فما أقبح أن يضع الإنسان القوانين حتى للماشية ولا يكون لعقله قانون ينظم حركته.

ولكن ما آخر علم لم يكتب في هذا الكف؟

فتح أفلاطون الباب ولحقه أرسطو للداخل، وبعد لحظات قال أرسطو مندهشا: هل كان المعبد هو المسرح؟!

لماذا ضحى المعلم بنفسه لأجل أن يقول لهم بأن الإله واحد؟

أين المؤمل الذي كان يتحدث عنه المعلم يا أفلاطون؟

هل رأيته أنت؟ هل تحدثت إليه؟ هل..

شد أفلاطون أرسطو وجثا على ركبتيه، وقال وهو ينظر مباشرة بعينيه:

– لو لم أكن أعرف يا أرسطو من هو سقراط، هل كنت سأدرك مكان المعبد؟

هز أرسطو رأسه بالنفي.

أكمل أفلاطون: لو لم أعرف كف سقراط هل كنت أستطيع أن أعرف من وضع هذا الرمز وماذا يقصد؟

هز أرسطو رأسه بالنفي.

وكذلك الحال مع الذين يأملهم البشر وينتظرونهم، كيف لنا أن نعرفهم ونميزهم إذا كنا لا نعرف من أرسلهم لنا؟

أرسطو: ولماذا سيرسل الإله مثل هذا الشخص؟

أفلاطون: حتى لا يذبح سقراط مجددا.

اشتعل المسرح، وقبل أن يفكر أفلاطون عن مصدر هذه النار، حمل أرسطو لاتجاه الباب فرآه مقفلا، وبعد محاولات لكسره، لمح نافذة علوية فقال لأرسطو اصعد على كتفي.

صعد أرسطو ودون تفكير قام بلكم الزجاج بكلتا يديه حتى انكسرت وخرج منها

لكن أفلاطون ظل عالقا بالداخل وبدأت قواه تخور ويغرق بالاختناق حتى سقط..

- 7 -

استيقظ أفلاطون على صوت بكاء وهو مضمدٌ وممدٌ بمنزل زينوفون أحد طلبة سقراط، ورأى أرسطو يبكي ويداه مضمدتان.

أفلاطون: هل رحل سقراط؟

أرسطو وهو يشهق: لقد جرعوه السم.

أفلاطون: كيف خرجت من هناك؟

أرسطو: لقد رأيت رجلا ملثما قد جاء وكسر الباب وقمت بسحبك للخارج.

أفلاطون: ومن كان ذلك الرجل؟

أرسطو: وكيف لي أن أعرف يا أفلاطون لقد كان الليل حالكا والفجر لم يأت بعد.

استمع ريبز وديابلوس لحوار أفلاطون وأرسطو

فقال ديابلوس تهنينا يا ريبز مات سقراط واحترق المعبد لم يبقى إلا أن نحرف التاريخ

الفجر

انتهى الفارابي من القراءة، وتفحص الكتاب مجددا ولم يجد أي إشارة لاسم مؤلف، وأعاد النظر في صورة الكف ووضع يده عليها فوجدها متطابقة مع كفه، وأخذ يفكر ما هو ذلك العلم الناقص؟ هل هو علم خاص لمعرفة المؤمل وشريعته؟

وبدلا من أن يفكر بمن يكون صاحب الكتاب، جال خياله في الذي سيظهر فيه المؤمل، كيف سيعثر ديابلوس على جثة نمرود ويفزع لرؤية فرعون وهو مصلوب، وبورتوغوراس يغرق في بركة من السم بينما يحترق ريبز كما احترق المعبد وهنا يلمح ديابلوس المؤمل وله سيف طويل، قبل أن يصل ديابلوس لحده يقطع رأسه وينكسر الظلام وديابلوس يصرخ صرخته الأخيرة.

قطع خيالات الفارابي أشعة من الشروق، وحدث نفسه بأن القريب من هذه الشمس سيكون أشد نورا مما هو أبعد، فألا يكون ذلك مع من كان قريبا من الله فيقع عليه نور العلم والحكمة قبل الآخرين وبذلك يكون خلاص البشرية عنده؟

أطفأ الفارابي السراج شرع بعد تأملاته بتأليف كتاب عنونه بالمدينة الفاضلة..

انتهى

spark-books.com

لماذا لم يسجد إبليس لآدم وقرر تجرع اللعنة فأفسد على نفسه كل شيء؟

لماذا اختار الله تعالى آدم كي يكون خليفته في الأرض؟

هل الخلافة منحصرة بشخص آدم أم هي سنة يجب أن تجري في كل زمان؟

ماذا سيفعل إبليس مع باقي الخلفاء وأعوانهم؟

كيف سينتهي به المطاف؟

كل هذه الأسئلة دفعتني أن أتعرف أكثر على شخصية إبليس، حتى التقيت به، ولا تظن أن هذه العبارة محض مبالغة، فهو يوميا يمرّ من أمامك وتسمع صوته في ذهنك، فهل عرفته؟

هذه الرواية محاولة للمعرفة أو قل للتذكر.